

الشباب والحرية في الإسلام: دراسة تحقيقية

Youth and Freedom in Islam: A research study

عبدالوهاب جان الأزهرىⁱ طاهر أحمد جانⁱⁱ

Abstract

No doubt, youth plays a vital role in reconstruction, development and revival of Ummah like a vertebral column. The hopes of nations are always the youngsters from whom the leadership generates. In view of this role of youth in the human history, it is obligatory upon us to nourish and educate the youth in a right way and protect them from extremism of any type to keep them in mental and psychological balance. It is also our duty to provide them awareness of all basic Islamic principles and do not leave them out of bound.

To protect the society from degradation of any type, we should fix some limitations to the freedom of youth. In this research paper, we shall discuss the type and limitations of freedom and the regulations provided by Shariah for the freedom of youth.

Key Words: youth, Islam, freedom, and limitations

الشباب والحرية في الإسلام

الحمد لله كما ينبغي لجلال قدرته وعظيم سلطانه الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وجعلنا من عباده وساوى بين الخلق من البشر وأخرجنا من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد وأصلي وأسلم على نبي الرحمة الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

ⁱ ليكچور، شعبه اصول الدين، انتر نيشنل اسلامك يونيورسٽى، اسلام آباد

ⁱⁱ ايم فل سكار، شعبه اصول الدين، انتر نيشنل اسلامك يونيورسٽى، اسلام آباد

فإن الشبية مرحلة من مراحل الحياة الحساسة تحتاج إلى النمو العقلي والجسدي والتميز في المهارات والكفاءات والخبرات النافعة ليكونوا اعضاء صالحين في مجتمعاتهم لأن الأمم تعتمد عليهم في بناء الأوطان وعمران البلاد وتشيد البنية التحتية في كل مجال فهم عدة الحاضر وأمل المستقبل وللشباب أهمية في المجتمعات عبر التاريخ يجب على مصلحي الأمة والآباء تربيتهم أحسن التربية وتوجيههم إلى الخير ووضعهم في موضع لاحق بهم لينشؤ نشأة قوية اكفاء لحمل الرسالة والمسؤولية بعيدين عن الانحراف، والعنف، متلمزين بضوابط الشريعة في حرياتهم العامة وحقوقهم المجتمعية وابعادهم عن التجمعات المشبوهة وتوعيتهم عن الحركات الظلامية وانتشالهم من مهالك الضياع، والإهمال ليكونوا قدوة وقادة في مسيرة اليقظة الإسلامية وأخذ الأمة إلى بر الأمان.

أما الحرية فهي من أغلى وأنبل معان لدى الإنسان في مسير حياته وفي مقابل ذلك الاستعباد والاسترقاق له وهو السبب الأساسي في إيقاع البشر في المآسي والمعاناة وإهدار كرامة الإنسان وانتهاك، حرمتهم وسلب حقوقهم وحرياتهم حتى جاء شرع الله ووضع حداً لمعاناة البشر وأكد حقوقه وأعادت إليه حرمة وكرامته لا يجوز الاعتداء عليها ولا انتهاكها بحال من الأحوال يقول تعالى:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا⁽¹⁾

وكرامة الإنسان تعنى حسن الصورة واعتدل القوام، وبالمواهب العقلية، والتفكير والنطق والبيان، وهذا تشريف من الله للإنسان ومن تكريمه تعالى أنه خلق الإنسان أحراراً والإسلام هو الذي كفل الحريات وقد قال عمر بن الخطاب في مشهد من الناس كلمته المشهورة "يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتمهم أمهاتهم أحراراً"⁽²⁾ فهي كلمة ذات مغزى بعيد فإنها تدل على أن الإسلام جاء ليحرر الرقاب من أسر العباد ويرفع من شأنه عزيزاً مكرماً.

نعم إن الإسلام جاء ليرفع من قدر هذا الإنسان ولكن لا تعنى هذا أن يعيش عيشة البهائم العجماء أو أن يعيش عيشة السبع الفتاك الذي لا يبالي بالآخرين ويهضم الحقوق بالعدوان وينتهك الحرم وتتنزل كل شيء في غير منزله وهذا الذي نرى اليوم تشن

الحروب باسم الحرية ومن خلالها يضطهد الناس تقتل الأنفس ويشردون ويقضى على كرامتهم ويعود الناس لا قيمة لهم في موازين الأمم المتغلبة والذين يدعون بالعدالة الاجتماعية كيف بإمكانهم إعطاء الحرية المطلقة للشباب في حياتهم بدون ضابط وميزان وفتح الباب على مصاريعه فكرة خيالية وضرب من الفوضى داخل المجتمعات.

مفهوم الحرية

تضمنت كتب اللغة معان متعددة لمفهوم الحرية إلا أنها في النهاية تكون قريبة من بعضها.

يقول ابن منظور في "لسان العرب" في تعريف الحرية: الحرية مصدر من حرّ يحر إذا صار حراً والحر بالضم نقيض العبد وجمعه أحراراً⁽³⁾ والحرّة هي الأنثى وجمعها حرائر⁽⁴⁾ وفي دائرة المعارف الإسلامية تقول الحر من الرجل خلاف العبد وهو ماخوذ من ذلك لأنه خلص من الرق أو العبودية⁽⁵⁾.

إذاً الحرية بمدلولها الواسع تفيد قدرة الشخص على مباشرة الأفعال والتصرفات التي تميلها عليه إرادته دون تعرض لأية ضغوط وقيود خارجية. واتضح من كلمة الحرية أنها لفظ يطلق على الأشياء النبيلة ولم يفد بحال مفهوماً رديئاً أو معناً مذموماً.

الحرية في الإسلام

إن الله تعالى منح الإنسان ثلاث وسائل يستطيع من خلالها وبها حرته وهي العقل، والإرادة، والاستطاعة (القدوة) وذلك لأن مدار التكليف مرتبط بهذه الثلاثة إن التكليف والابتلاء لا يمكن لهما أن يصلا إلى غايتهما إلا مع وجود هذه الوسائل وحين لا تتوفر هذه الوسائل للإنسان لا تتوفر بالضرورة شروط الابتلاء، والتكليف القائم على الحرية فالحرية هي الإطار الذهبي الذي يبدو فيه الإنسان وهو يرفرف في افق الإنساني الرفيع متميزاً به على سواه من المخلوقات فلقد منح عقلاً وتفكيراً وإرادة وفتحت له أبواب الاختيار والتميز بمقتضى العقل والإرادة والاستطاعة الموجودة لديه.

المفهوم الاصطلاحي للحرية في الإسلام

لقد حاول علماء الإسلام أن يعرفوا الحرية وأن يجعلوا لها معنى محدد فوضعوا له

تعريفات مختلفة من بينها:

- 1- التحرير للرقبة: اعتاقها والمحرر الذي جعل العبيد حراً فأعتق يقال حر العبد حرارة أى صار حراً وفي الحديث شراركم الذين لا يعتق محرهم⁽⁶⁾ أي إذا اعتقوه استخدموه فإذا أراد فراقهم ادعورقة⁽⁷⁾.
 - 2- الحرية تعنى قدرة الفرد على التصرف بملاء الإرادة والاختيار أو هو خلو الآدمي من قيد الرق عليه⁽⁸⁾.
 - 3- الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار،⁽⁹⁾ وهناك تعريف آخر للحرية في نظر بعض مفكري الغرب.
 - 4- إرادة الإنسان وقدرته على أن لا يكون عبدالغير الله تعالى⁽¹⁰⁾.
 - 5- التحرير من القيود الاجتماعية وعدم الالتزام أي أن الإنسان يفعل ما يشاء دون التزام بقانون أو عرف أو دين ودون تدخل من الآخرين،⁽¹¹⁾ وكذلك بمعنى تقرير السيادة الخارجية للدولة والشعوب كمرادف للاستقلال.
- وبعد ذكر هذه المفاهيم للفظ الحرية أرى أن الحرية هي ترك الفرد في أن يمارس نشاطاته وتحركاته وتصرفاته بالطريقة التي يرتضيها هو لنفسه ويرى أنها موافقة لميوله ورغباته دون أن يتعرض أي ضغط أو تدخل من أية جهة خارجية على أن لا تتعارض نشاطاته وأفعاله مع قيد سماوى والتي روعى فيه مصلحة الجماعة والفرد معاً.
- فالتعرف الأخير لعلماء الغرب بعيد كل البعد من الموضوعية فإنها دعوة إلى البهيمية والغوغائية ولا يمكن للإنسان العاقل المسئول أن يفعل بنفسه ما يشاء وجريا وراء الميول والأهواء والرغبات فإن هذه التصرفات يجعل الإنسان مهيناً حقيراً ذليلاً في عيون المجتمع ويترتب على هذه التصرفات الأضرار البالغة عليه وعلى الآخرين وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم في ما رواه حذيفة قال صلى الله عليه وسلم:
- "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء كما لا يطق⁽¹²⁾.

فعلى الإنسان أن لا يذل نفسه وإلا يوقع نفسه في أمر لا يصلح أن يقع فيه وإذا كان لا يسمح له بأن يبقى فعليه أن يرجع ويبحث طريقاً لا محذور فيه ولا يترتب عليه ضرر به وإذا سقط في دفاع عن نفسه ودين وعرضه وأهله ماله فهو شهيد لما رواه سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل دون دين فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد⁽¹³⁾.

ثانياً: الحرية وأنواعها في ضوء الإسلام

ومن تكريم الله للإنسان أن سخر له ما في السماوات وما فيها ومن الأرزاق وأعطى له الحرية الكاملة في استخدام هذه الأشياء والانتفاع بهذه المنافع التي لا تكون على حساب الآخر ولا تكون على حساب الفضيلة والعقيدة والأخلاق.

نعم جاء الإسلام ليرفع من قدر الإنسان وشأنه بين الأحياء ولكن لا تعني الحرية أن يعيش الإنسان عيشة البهائم العجماء أو أن يعيش عيشة السبع الفتاك الذي لا يبالي بالآخرين فالحرية في التصور الإسلامي ليست المقدره على الفوضى بل المقدره على التطور المادي، والروحي (أعني المقدره على اشباع الحاجات المادية والروحية أو تحقيق الغايات والمثل العليا المحدودة والمطلقة أو المقدره على حل المشاكل المادية، والمعنوية، والروحية المتحددة زماناً ومكاناً).

إذن الحرية مرغوبة ومطلوبة في ضوء الضوابط المرعية والاستئذى الحرية إلى العدوان وانتهاك الحرمات فالحرية المطلقة تحول إلى الفوضى والعدوان والخروج على النظام في حياة الناس مما يؤدي إلى الكوارث البشرية والاجتماعية، والإهانات، والعنف، والفساد في البر والبحر فليس من حق الإنسان أن يتلف صحته ليشمل ارادته بالإدمان والمخدرات لأن صحته وديعة في يديه لا يملكها وحده بل يملكها المجتمع الذي رباها ورعاها وليس من حقه أن يضيع "ما له" بما يضره وليس له الحرية في قتل نفسه بأي طريقة كانت فحياته ليست ملكاً له وحده قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ⁽¹⁴⁾

فالحرية مقيدة في حدود الالتزام بالنظام العام والالتزام بالأداب العامة وبقوانين البلد

الذي يعيش فيه مثلاً لا يجوز لأحد أن يتجاوز عن قوانين المرور وخرق اللوائح والإشارات ويقول أنا حر فيما أفعل ما أشاء كلا ولذلك توجد في نطاق الحرية المنضبطة قيود ضرورية تضمن حرية الجميع مثلاً.

أ. أن لا تؤدي الحرية إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ب. أن لا تفوت حقوقاً أعم منها

ج. أن لا تؤدي حريته إلى الأضرار بحرية الآخرين.

مجالات إبداء الرأي

ولإبداء الرأي عدة مجالات وغايات منها:

أولاً: إظهار الحق وإخماد الباطل قال تعالى:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (15)

المعروف سبيل الحق وطلب من المؤمن أن يظهره أما المنكر فباطل عليه إخماده.

ثانياً: منع الظلم ونشر العدل: وهذا ما فعله الأنبياء واتباعهم من العلماء إزاء الملوك والسلاطين.

ثالثاً: وقد يكون إبداء الرأي بتقديم الأمور حسب أهميتها وأولويتها وهذا وظيفة أهل الشورى ويجب أن تكون في إطار الخير والمصلحة إذ الإسلام يقصد بالحرية في الرأي أن يفكر الإنسان كيف ينمي ويرتقى وبصعد لا كيف يخرب وينزل كيف يبني نفسه وأمتة لا كيف يهدمها سعياً وراء شهواتها وهواها⁽¹⁶⁾.

وقد حرص الإسلام المسلمين على حرية ابداء الرأي دون تردد وحجل أو خوف فالآراء السليمة هي التي تكون وسيلة للوصول إلى الحق والتقدم الحضاري المنشود وقد ذكر لنا التاريخ الإسلامي نماذج رائعة عن حرية الرأي وتطبيقاته، ففي معركة بدر تخير النبي صلى الله عليه وسلم مكان المعركة فقال خباب بن المنذر أهذا حكم الله أنزله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال خباب أنه لا يصلح بنزول المسلمين وأدلى برأيه غير رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه كذلك آراء عمر

في فدية أسرى البدر وصلح الحديبية والحجاب كل ذلك دليل على حرية الرأي في الإسلام وإن اختار أبي بكر كخليفة للمسلمين ثم بالمشاورة وتفصيل الآراء والأفكار وإن المرأة التي تجرأت واعتضت على عمر في تحديد المهوور فقال عمر أصابت المرأة وأخطأ عمر، هذه الأمثلة تدل على أنه لا يجوز استغلال حرية الرأي والتعبير للمصالح الذاتية أو للتشهير بالآخرين أو للمساس بأمن الدولة وزعزعة استقرارها فحرية الرأي في الإسلام ليست مطلقة بل هي مقيدة لضوابط تحقق النفع للمسلمين وتحفظ مصالح الفرد والمجتمع ومن هذه الضوابط:

- أ. ألا يكون هذا القول والرأي طعناً وتعدياً على دين الله ورسوله لأن حفظ الدين مصان
- ب. ألا يكون في هذا الرأي قول على الله أو حوض في دينه بلا علم.
- ج. ألا يكون في هذا الرأي تشكيك في المعتقدات أو نشر الإلحاد أو تفريق الأمة أو دعوة للخروج على الأمر الذي بايعه المسلمون.⁽¹⁷⁾
- د. وأن لا يكون فيها دعوة إلى المعاصي والفساد وانتهاك الحرمات وإفشاء الأسرار.
- هـ. وأن يكون هذا الرأي طيباً عن العدوان والفحش وبذاءة اللسان صادقاً غير كاذب.
- و. وأن تكون الدعوة إلى الرأي بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالأحسن دون اللجوء إلى العنف والإكراه.
- ز. أن يكون هذا الرأي مبنياً على تحرى الحق والعدل وعدم تلبيس الحق بالباطل فلا بد من مراعات هذه القيود لأنها لصالح حق الإنسان وهذه القيود المذكورة تسهم في الحفاظ على قدسية حق التعبير عن الرأي ففي معظم المجتمعات توجد الضوابط على حرية التعبير لأن انعدام القيد تماماً يعني انتشار الفوضى⁽¹⁸⁾.

المبحث الثالث: الحرية بين الإسلام والغرب

- أ- ولما قرر الإسلام للإنسان حقوقه وحرياته في حين ضاعت هذه الحقوق والحریات في دساتير وقوانين الأديان، والأمم، والحضارات وجعل الإسلام للحفاظ على

الحرية ويمانيها مقصداً أمن مقاصد الشريعة "واعتر أن انتهاكها والاعتداء عليها جريمة لا تغفر إلا بالعقوبات المناسبة تطبق على كل من يعتدى عليها ولم يتركها لتقدير الناس أو اجتهاداتهم⁽¹⁹⁾ كما اعتبرت الشريعة الإسلامية أن في الاعتداء على تلك الحقوق والحرية اعتداء على حقوق الله فالشريعة الإسلامية حمت الأفراد في المجتمع وحافظت على حقوقهم وحريةهم وجعلتها مصانة محترمة محمية من أي اعتداء في شخصه، أو جسده أو ماله، أو عرضه، أو دينه واعتبرت أن الاعتداء على تلك الحقوق والحرية ظلم يجب دفعه⁽²⁰⁾.

ب- وحماية الإنسان تعني حمايته في نفسه ومسكنه، وبدنه، ورأيه، وجميع أمور حياته يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: "المسلم أخو المسلم لا يخنونه ولا يكذبه ولا يأخذ له كل المسلم على المسلم حرام عرضه، وماله ودمه التقوى ما هنا بحسب أمرى من الشر أن يحقر أخاه المسلم"⁽²¹⁾ أما غير مسلم فهو أيضاً مكرم ومفان بدليل قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر"⁽²²⁾ فهذا التكريم مبني على الاستعداد الفطري شامل عام لكل إنسان دون تحديد ومن تكريم النبي صلى الله عليه وسلم للنفس البشرية عن سهل من حنيف وقيس بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام فقيل له أنها جنازة اليهودي فقال ألسنت نفساً⁽²³⁾ فالإنسان إذن قد توافرت له كل عناصر الحرية من مسئولية فردية ومعرفة للذات والكون وتكريم له من قبل الخالق بجانب توافر وسائل الحرية من عقل وإرادة واستطاعة يكون حراً مع مراعاة لضوابط الحرية حتى لا تكون نكبة على الآخرين ان يكون الحرية حفيضة بضوابط الشرع وذلك لا تزان تصرفاته في جلب المصالح ودك المفاسد أما الحرية المطلقة فهي فكرة خيالية وفتح لباب الفوضى والفساد.

ت- أما الحرية عند الغرب بدأت النزعة الليبرالية كمنهج إلى فكرة القانون الطبيعي لدى الأروبيين ذات جذور في الفلسفة اليونانية الرواقية، مفادها أن مصلحة المجتمع ككل تتحقق حتماً من خلال عمل كل فرد فيه على تحقيق مصلحته الخاصة وهذه الفكرة أساس للمفهوم الغربي المعاصر للحرية، فهم يعتقدون أن الواقع قابل للتغيير وأن المانع في طريق التغيير هي القيود المفروضة على فاعلية القانون الطبيعي وأن عليهم

أن يحطموا تلك القيود حتى يتغير الواقع وأن التحرر نتيجة لازمة للتغيير وأدت هذه الفكرة إلى تمرد الأوروبيين على سادتهم وإسقاط وصايا الكنيسة وإمميزات الملوك، والنبلاء، والأمراء، ومزقوا العلاقات الإقطاعية وقهروا الطبيعة بالعلم والثورة الضاعية، فرغم أن المفهوم الليبرالي كيف يتحررون إلا أنه لم يعلمهم ماذا يفعلون بالحرية الفردية المطلقة وهذا ما أدى إلى أن تصبح ثمار التقدم ملكية خاصة لأصحابه حكراً عليهم وأصبحت المجتمعات الأخرى محرومة من ثمار التقدم إلى ما قبل قرن وقد تصدى عدد من الفلاسفة الأوروبيين لفكرة الفيلسوف البريطاني توماس هوبز، الذي عرف الحرية قائلاً: الحرية بمفهومها الصحيح هي غياب القيود الخارجية التي تحول بين الإنسان ورغباته وميوله (24).

ث- ومن بين هؤلاء الذين انتقدوا المفهوم الليبرالي للحرية من زوايا مختلفة منهم كارل ماركس، وهيغل، وفردريك نيشة، وفوكو وغيرهم، غير أن الحضارة الغربية الحالية أخذت بمفهوم توماس هوبز وجعلتها في حيز التطبيق العملي وأعطت الحرية للأفراد بلا حدود وقيود إلا قيد "قانون الدولة وقوانين البلد توضع وتقنن حسب ميول الناس وأهوائهم وتعديل وتغيير حيناً بعد أخرى.

ج- ولعل أهم تطور حدث على المستوى العالمي لحقوق الإنسان تبنى هيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فبرزت فكرة إصدار إعلان عن حقوق الإنسان بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها مباشرة وذلك في مدينة "سان فرانسيسكو" بأمريكا عام 1945م ثم عرض مشروع الإعلان العالمي للحقوق على الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة عام 1948م في باريس وبعد مناقشات طويلة إصدرت قراراً في ديسمبر 1948م وجعلوه سارية المفعول على الدول الأعضاء وأصبح مصدراً أساسياً للعديد من دول العالم في وضع قوانينها الوطنية غير أن بعض الدول الإسلامية تحفظت على بعض البنود والمواضيع التي وردت في الإعلان العالمي حيث أنها تتعارض بكل وضوح مع تعاليم الإسلام (25) منها:

أ- جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: أن لكل شخص الحق في حرية الدين وتغيير ديانته وحرية الإعراب عنها بالتعاليم والممارسة، فالإنسان عند الغرب حر في اختيار

دين وتغييره متى شاء وهذا يتعارض مع تعاليم الإسلام فإنه لا يجوز الارتداد والتمرد على ديانتته لأنه خيانة ونفاق وتلاعب في العقيدة يستحق القتل إذا لم يتب درأً للفساد وحماية لضرورة حفظ الدين. ولنا أمثلة كثيرة يقوم بها أهل الغرب ويمارسها نهاراً وجهاً فهذه فرنسا تصدر قانوناً لمنع الفتيات المسلمات عن الحجاب في المؤسسات التعليمية والأسواق وذلك بموجب حماية القيم العلمانية، كما نجد كثيراً من البلاد الغربية تمنع بعض الأحزاب الدينية وأخرى سياسية من الترشيح كل ذلك لحماية الأسس العلمانية.

ب- وبموجب هذا الإعلان العالمي من حق الرجل والمرأة أن يكون الأسرة دون أي قيد وشرط من الجنس والدين وهذا يخالف تعاليم الإسلام التي لا تجيز للمرأة المسلمة أن تتزوج بغير المسلم وذلك صيانة للأسرة من الانحلال الخلقي والعقائدي⁽²⁶⁾.

ت- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW سنة 1979م وبموجب هذا الإعلان أصبحت المرأة مساوية مع الرجل في كل شيء أباح الزنى بالرضا كما أباح الاجهاض واستقاط الجنين ونظراً إلى المجتمعات الغربية حيث أنها فهمت معنى الحرية فهما غربياً فعندهم أنه من حق الإنسان أن يفعل بنفسه ما يراه صحيحاً ما دام لا يخرج على القانون وهم واضحين للقانون طبقاً لأهوائهم ورغباتهم بدون ضوابط وحدود. لذلك نجد هذه القوانين تبيح التصرفات غير الأخلاقية بل القانون هو الذي يحميها ويجرسها مثلاً.

القانون عندهم يبيح لهم، القمار، وشرب الخمر، والتعامل بالربا، وممارسة الزنا، والسحاق، وممارسة الشذوذ الجنسي والتمرد على الأسرة والانتحار لا شك أن مثل هذه التصرفات باسم الحرة والإباحية أقرب ما تكون إلى الفوضى والبهيمية التي يثيرها الهوى والشهوة أما القوانين الإسلامية فهي الهية المصدر ثابتة لا تتغير بالأهواء ولا بقهر قاهر وسلطه مستبد، تراعى مصالح العباد والبلاد. أما القوانين الوضعية فنجد أن عندهم مكيالين تراعى وتحافظ على مصالحهم أما غيرهم من الشعوب فلا حق ولا رعاية لهم تتعدد وتغيير القوانين للأزلال بهم وملاحقتهم بالقوة والعنف والسحق لهم ولابناءهم بدون رحمة وهوادة ولا تتحرك ضمير المجتمع العالمي والقوانين الدولية لإنقاذهم من الهلاك والتشريد، والإبادة الجماعية، حتى في بلادهم وأوطانهم أما الشريعة الإسلامية من محاسنها

العظيمة أهما تتفق مع بعض النظريات البشرية مثلاً قضية حرية الإنسان فهي مقيدة بعدم الإضرار بغيره وعدم الاعتداء على حريات الآخرين فكل ما يضر بالنفس من فعل أو ترك فإن الشريعة منعت منه جلياً للمصلحة ودرءاً للمفسدة وتحقيقاً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ولهذا منعت من الكفر، والإلحاد، وارتكاب المنكرات والمعاصي التي تضر بدينه ومنعت من الإضرار بدينه أو عقله، أو عرضه، أو نسله، أو ماله لأنها ليست ملكاً له بل هي أمانة عنده يجب أن يتقى الله تعالى فيها ويجتهد في المحافظة عليها وتجنّبها كل ما يتلفها أو يضر بها كما قال الله تعالى: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" (27) وقال تعالى: "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" (28).

المبحث الرابع: الشباب والحريات والضوابط

إن فترة الشبيبة من أهم مراحل الإنسان في حياته ولذلك اهتمت الرسالات السماوية بالشباب ووجهت التوجيهات الربانية لتكوين الشباب وصلاحتهم وتربيتهم فأنهم اعظم شأن ومكانة إذا أصلحوا يقول تعالى عن قوم موسى عليه السلام: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه (29).

ووقف الشباب الفتي من قوم فرعون في وجهه يدافع عن الحق: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله (30).

وقد وصف الله تعالى شباب الكهف: أنهم فتية آمنوا فزدناهم هدى (31). وهكذا نجد في التاريخ الإسلامي الطويل أن للشباب الدور الرائد والفعال في صناعة الإجماد والبطولات والمآثر وكان للشباب شرف المشاركة في الاحداث والمجريات التي أصبحت مشرقة وخالدة مما أدى في توجيه مسار البشرية في الاتجاه الصحيح كما أنهم رسموا بدمائهم الذكية أجمل لوحات الفداء والإيثار وبذلك أصبحوا قدوة ونموذجاً للشباب المسلم.

وهذه الصفات والمكارم جاءت عن طريق الوحي السماوي لتكون نبراساً للشباب المسلم لأن الإسلام يكرم الشباب وقدم له و أراد ان يستثمر طاقاتهم في كل نافع ومفيد وأن يستغل فترة الشبيبة من أعمارهم في البناء والعطاء لأنفسهم ولأمتهم وقد

حرص الإسلام، وأكد على ضرورة حماية هذه الطاقة وصيانتها من الانحراف والسقوط في مهاوى الفساد والآثام ودعاء الأمم والشعوب إلى تربية الشباب وتكوينهم وتزويدهم الوعي والقيم الفاضلة التي تمكنهم من مواجهة الاخطار المحدقة به من كل طرف ولعل ما نراه اليوم من هجوم مركز على جيل الشباب من قبل الرعايات الإعلامية واستغلال الشيء لوسائل الاتصال التي تعمل ليل ونهار في افساد سلوكيات الشباب المسلم وأفراغ الأمة من محتواها وتجريدها من سلاحها وتدمير الشباب خلقياً ودينياً واجتماعياً كأكبر قوة لدى الأمة الإسلامية التي تعتمد عليها في صناعة المستقبل الزاهر.

ويريدون أن يشيعوا الفواحش والأفكار المنحرفة بدليل إن الإنسان عنده حرية المطلقة فيما يقول ويفعل وقد ذاد الطين بلة دعوة اعداء الإسلام وأصحاب الشهوات والنزوات بأن الشباب لديهم حرية بلا حدود وقيود مثل البهائم هذه الحرية البهيمية تدعوا الشباب للتبرج والسفور والانحلال والاختلاط وحياة العبث والخمور والضياع وإلى نبد كل ما يقيد الإنسان ويضبطه ولو كان موافقاً لفطرة الله التي فطر الناس عليها بينما حرم الإسلام جميع السلوكيات المنحرفة وأمر بالعدل، والإحسان والرحمة والإنصاف ومحاربة الظلم والاعتداء على الآخرين، والاجتناب عن الفوضى، والصراعات التي تؤدي إلى الفتن والمشاكل التي لا حصر لها.

"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال" ³²

ومن أهم مشكلات الشباب اليوم أنهم يخلطون بين المفاهيم مثلاً: الخلط بين الحرية المطلقة والحرية المنضبطة بمنهج الإسلام، ولو أدركوا الحرية بمنظور إسلامي لآخلت كثير من قضاياهم ولتوات كثير من مشكلاتهم ولعاشوا حياة سعيدة في الدنيا والآخرة قال تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" ⁽³³⁾.

انحراف الشباب - أسبابها وعلاجها

إن أسباب انحراف الشباب كثيرة وذلك لأن الإنسان في مرحلة الشباب يتكون جسمياً وفكرياً، وعقلياً لأنها مرحلة النمو فيحصل له تطورات سريعة في التحول والتقلب

فمن الضروري في هذه المرحلة أن تنتهياً له أسباب ضبط النفس وكبح جماحها والقيادة الحكيمة التي توجهه إلى الصراط السوي المستقيم، وأهم أسباب الانحراف هي.

أ- الفراغ: الفراغ داء قتال للفكر، والعقل، والقوى الجسمانية، إذا النفس لا بد له من حركة وعمل فإذا كانت فارغة من ذلك تبدل الفكر وتخن العقل وضعفت نشاطات النفس واستولى الوسواس والأفكار الرديئة على القلب وربما حاشت عنده اتماع وإرادات سيئة نتيجة مرض الفراغ الذي أصابه. وعلاج هذه المشكلة - أن يسعى الشباب المسلم في حصول عمل يناسبه من تعلم، وتجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذه الفراغ ويستوجب أن يكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره.

ب- الجفاء والبعد بين الشباب وبين أصحاب العقول الراجحة كبار السن من أهلهم وغيرهم، فترى بعض الكبار يرون الانحراف من شبابهم فيقفون حيارى مكتوف الأيدي عاجزين عن تقويمهم يائسين من إصلاحهم فينشأ من ذلك بغض هؤلاء الشباب والنفور منهم وعدم المبالاة بأي حال من أحوالهم.

وربما حكموا بذلك على جميع الشباب وصار لديهم عقدة نفسية على كل شاب وينظر إليه بنظرة ريب بعيداً عنه فيتفكك بذلك المجتمع وينظر كل من الشباب والكبار إلى صاحبه نظرة الازدراء والاحتقار وهذا يعتبر من أكبر الأخطار التي تحدق بالمجتمعات.

وعلاج هذه المشكلة

أن يحاول كلا الطرفين الشباب والكبار رأب هذا الصدع وإزالة الجفوة بينهم مؤمنين بأنهم جميعاً بشبابه وكباره كالجسد الواحد إذا فسد منه عضو أدى ذلك إلى فساد الكل، وعلى الكبار أن يشعروا بالمسئولية الملقاة على عواتقهم نحو شبابهم وأن يتطرد اليأس من نفوسهم من إصلاح الشباب فإن الله قادر على هداية الناس جميعاً.

كما ينبغي للشباب أن يظهروا الإكرام والاحترام لكبارهم وأن يقبلوا التوجيه منهم لأنهم أدركوا التجارب وواقع الحياة ما لم يدركه هؤلاء فإذا اجتمعت حكمة الكبار بقوة الشباب نال المجتمع سعادته.

أ. صحبة الإشرار والمنحرفين:

وهذا يؤثر كثيراً على الشباب في عقله وتفكيره وسلوكه ولذلك جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: المرأ على دين خليله فينظر أحدكم من يخالل⁽³⁴⁾ ويقول صلى الله عليه وسلم، مثل الجليس السوء كنا فح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة⁽³⁵⁾.

أما علاج هذه المشكلة

فعلى الشباب أن يختار لصحته من كان فيه خير وصلاًحاً وعقلاً حتى يكسب من صفاته فيزن الناس قبل مصابحتهم بالبحث عن أحوالهم وسمعتهم فإن كانوا ذوى دين وخلق وسمعة طيبة فليمسك بهم فذلك مطلوب وإن كان غير ذلك فالخذر عنهم والبعد منهم واجب وإن لا يخدع بلين قوله وحسن مظهره فإن ذلك خداع يصطاد به البسطاء، ما أحسن قول الشاعر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

ب. قراءة بعض الكتب الهدامة والمجلات الصفراء مما يشكك المرء في دينه وعقيدته فيجره إلى هاوية التحرر من كل فضيلة فيقع في الكفر والرديلة إلا ما شاء الله ومن عنده دراية دينية عميقة فيفرق بين الحق والباطل.

وعلاج هذه المشكلة

البعد والامتناع عن قراءة مثل هذه الكتب والمجلات والفضائيات والسداهات ويهتم بقراءة الكتب التي تغرس في قلبه محبة الله ورسوله وأهم الكتب كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج. ظن بعض الشباب إن الإسلام تقييد للحريات وكبت للطاقت فينفر من الإسلام ويعتقده ديناً رجعياً يأخذ بيد أهله إلى التخلف ويحول بينهم وبين التقدم والرقى ومن المظاهر التي تبرز على جيل الشباب لتحقيق الاستقلال والتحرر، الخروج على الآداب والعادات والتقاليد المورثة من الأجيال السابقة وعدم طاعة الأوامر، والنواهي الصادرة من الوالدين أو المرين والظهور بمظهر الكبار واستخدام الخشونة والقوة للحصول على الرغبات والحاجات وممارسة العناد تجاه الأشياء المختلفة عليها

والرغبة في الاستقلال والتحرر قد يكون سلبياً إذا كان مظهراً من مظاهر الغرور والتعجب الزائد بالذات وعدم احترام الوالدين والمربين، والمعلمين وعدم الاهتمام بالآخرين والتمرد على كل القيم والضوابط الاجتماعية والأخلاقية فهذا النوع من الحرية شر محض لأن فيها الوصول إلى إشباع الغرائز والتلذذ المطلق في نيل الرغبات النفسانية وما أحسن القائل حيث قال الشباب مرحلة الإفراط، والكهولة "مرحلة الاعتدال، والشخوخة مرحلة الالتزام".

والعلاج لهذه المشكلة

على العلماء المصلحين والشباب والملتزمين أن يكشفوا النقاب عن حقيقة الإسلام لهؤلاء الشباب الذين يجهلون حقيقته لسوء تصورهم أو قصور علمهم أو كليهما معاً، ويجب على المسؤولين الآباء التفهم لكل جيل من متطلبات ومتغيرات ورؤية الجيل الآخر حيث يحل الاحترام والتقدير مكان النزاع والصراع لأن معظم الآباء لا يتفهم متغيرات العصر فينشأ صراعات بين الآباء والأبناء والفتيات والأمهات ولذلك نجد تزايد حالة الاصطدام والقطعية بين أفراد العائلة الواحدة.

ولا شك أن الإسلام ليس تقييد الحريات ولكنه تنظيم لها وتوجيه سليم حتى لا تصطدم حرية شخص بحرية الآخرين لأن الحرية المطلقة لا تتحقق إلا على حساب حريات الآخرين ولذلك سمي الله تعالى الأحكام الدينية حدوداً قال تعالى: "تلك حدود الله فلا تقربوها"⁽³⁶⁾ فهناك فرق بين التقييد وبين التوجيه والتنظيم الذي شرع الله لعباده والتنظيم أمر واقعي في جميع المجالات في هذا الكون، كما أن التنظيم خاضع لنظام اجتماعي وإلا يعد شاذاً منكراً.

نماذج اهتمام النبي الكريم على الشباب

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الشباب لأنه الجيل الفاعل والمؤسس بملك طاقة البناء وقوة الفعل والتغيير وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب خيراً: أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة.

أ. وقد اعتمد نبي الإسلام على شباب في تبليغ الدعوة فاختر شاباً فتياً يدعى مصعب بن عمير ليكون داعياً للإسلام ومهدداً لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

إلى المدينة هذا دليل على ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بأهليته وقدرته على القيام بهذه المهمة الخطيرة.

ب. وقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة شاباً في العشرين من عمره يدعى عتاب بن أسيد وقال له يا عتاب أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله عزوجل ولو أعلم لهم خيراً منك لاستعملته عليهم.

ج. ففي أواخر حياة النبي عليه السلام قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبئة المسلمين لمواجهة الروم" الذين كانوا يشكلون قوة عظمى آنذاك وتقف دائماً عقبة في وجه الإسلام فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجهيز جيش من كبار الصحابة وأمر عليهم أسامة بن زيد وكان أسامة في الثامنة عشرة من عمره وقد وجدت فيه الكفاءة والتأهيل لقيادة الجيش وأداء الواجب نعم فهؤلاء الشباب القادة كانوا تلاميذاً في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تربوا على أخلاقه وتعاليمه فكانوا أهلاً لكل خير وهذا قليل من كثير يتضح منه رؤية الإسلامية للشباب فالإسلام كرم الشباب وحافظ على الطاقات والقوة المدخرة الفكرية، والعقلية، والبدنية، وعلينا أن نتنبه جميعاً إلى ثقل المسؤولية الملقاة على أكتافنا آباء ومربين ومسؤولين وحكاماً وأنظمة هي حفظ الشباب وتأمين كل مستلزمات الحياة وشروط القوة تحت ضوابط شرعية فعالة ليكونوا أعضاء صالحين في المجتمع البشري غير ضارين ولا خارجين على مثل العلياء ولا متمردين على الآداب والسلوكيات الإسلامية لأن مرحلة الشبيبة تحتاج إلى الترشيد والتوجيه، يقول الشاعر:

وأيام الحداثة فاغتنمها إلا إن الحداثة لا تدوم
إن الغصون إذا قومتها فاعتدلت ولن يلين إذا قومته الخشب

الحواشي والهوامش

1 سورة الإسراء: 17: 70

2 الطبقات لابن سعد، 3: 293

3 لسان العرب: 4: 178-185

4 المصباح المنير للرافعي: 5: 1-2---وتاج العروس للزبيدي: 10: 571

- 5 دائر المعارف الإسلامية 7: 2-4
- 6 النهاية في غريب الحديث والأثر، 1: 363---مصنف ابن أبي شيبة كتاب الزهد الصحابة، 13: 305
- 7 تاج العروس للزبيدي: 855
- 8 الدكتور محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء 5: 437، ط إدارة القرآن كراتشي
- 9 التعريفات للحرجاني 1: 116
- 10 د. محمد القطب، الإسلام وحقوق الإنسان: 296
- 11 الشيخ عبدالرزاق رحيم صلال الموحى، حقوق الإنسان بين الأديان السماوية: 176، ط دار المناهج للنشر بيروت
- 12 رواه أحمد، 5: 405
- 13 أخرجه أحمد 1: 19
- 14 سورة التوبة 9: 111
- 15 سورة آل عمران 3: 104
- 16 د. أحمد جلال حماد، حرية الرأى في الميدان السياسي في ظل مبدأ المشروعية: 70، ط دار الوفاء، مصر
- 17 حقوق الإنسان في الإسلام: 54-55
- 18 الدكتور مروان إبراهيم القبسي، موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام: 308
- 19 الموافقات للشاطبي 3: 38
- 20 الحريات العامة بين الشريعة الإسلامية والقانون الأردني: 138
- 21 أخرجه أبو داؤد، 3882، والترمذي 1927، قال حديث حسن
- 22 سورة الإسراء 17: 7
- 23 البخاري (1312)
- 24 توماس هوبز المارد: 375 ط هولت 1969م

25 الدكتوراه قدمه من محمد عمران، الحرية والاسترقاق في ضوء السنة النبوية رسالة : 438، كلية أصول

الدين إسلام آباد

26 حقوق الإنسان في الإسلام: 161

27 سورة النساء: 4: 29-30

28 سورة البقرة: 2: 195

29 سورة يونس: 10: 83

30 سورة غافر / المؤمن: 40: 28

31 سورة غافر / المؤمن: 40: 28

32 شعب الإيمان 7: 3107

33 سورة النحل، الآية: 97

34 سنن أبي داود: 83، رقم الحديث 4833

35 رواه مسلم، رقم الحديث: 2688 و ط: 2000م

36 سورة البقرة: 2: 187